..عن اللحم والبيض والجزارين..حقيقة ومجازاً

محمود عبد المنعم مراد

التحرير

كان قرار السيد الرئيس مفاجئا . قرار منع ذبح وبيع اللحوم شهرا كاملا . وأحببت أن أتعرف على رد الفعل ، فى الأسر التى أعرفها . وكانت دهشتى بالغة . فما رأيت أحدا ضاق ذرعا بهذا القرار . حتى أولئك الذين لا يغيب عن موائدهم اللحم كل يوم . استقبلوه جميعا بالرضا . ولم يفكروا فيما يفعلون اذا امتنعوا عن أكل اللحم شهرا . فسوف نجئ البدائل ، وتتغير أنماط الاستهلاك ، وتتعود البطون على البروتين النباتى الذى يختاره بعض الناس بمحض ارادتهم ، لأنه يطيل الأعمار ، ويقلل فرص التعرض للمرض .

وكان تسعون فى المائة من المصريين ، منذ عشرات قليلة من السنين ، لا يأكلون اللحم الا مرات قليلة كل عام . ولم يكونوا يموتون قصار الأعمار بسبب ذلك . وكانت اللحوم لديهم متوافرة فى الحقول وفى المنازل . يربون الماشية والطيور الداجنة ، ويبيعونها للقلة النادرة من القادرين . أما هم فكان يكفيهم رغيف الخبز ، مع قليل من الملح أو الجبن . وبعض رءوس البصل . وكانت سواعدهم قوية ، يعزقون الأرض ، ويحرثونها ويروونها . ويعودون بعد عمل شاق طوال النهار ، وينامون ملء جفونهم .

ولست أدعو لأن تعود الحياة الى ما كانت عليه منذ نصف قرن مضى . فهى لن تعود . ولكنى أدعو الى أن يعتدل الميزان ، وأن نحرر أنفسنا من رق الجزارين ، حقيقة ومجازا . فهم جزارون بالفعل ، يذبحون الماشية ويبيعونها فيجزروننا جزرا . وما ذكره الرئيس عن الجزار المليونير ، ليس حادثا فرديا ، ولك أن تسأل أصحاب العمارات فى مختلف الأحياء والجهات ، وستعلم بنفسك أن كثيرا منها يملكها أولئك الذين يبيعون اللحم ، بينما لا يملك الذين يشترونه شيئا .

والقرار الذى اتخذه الرئيس ليس موجها الى أولئك المستغلين وحدهم بل انه موجه الى الشعب أولا . وقد كان بودى أن يكون القرار من صنعنا نحن ، وباختيارنا نحن المستهلكين ، غير أننا لم نتعلم كيف ندير أمورنا بأنفسنا . بل نلقى بالعبء كله على الدولة . وقد خطر لى خاطر ، وهو أننا أصبحنا جميعا نعرف مضار التدخين من الناحية الصحية والمالية أيضا . والجميع ينصحوننا بالكف عنه . ومع ذلك لا نملك من الارادة ما يجعلنا نفعل ذلك . وكثيرون يلقون على التدخين نسبة كبيرة من دخولهم أو مرتباتهم . ومع ذلك يستمرون فيه . ضاربين صفحا عن كل نصيحة . فلو صدر قرار من الدولة بتحريم التدخين ، فلست أشك فى أنه سيقابل بالتأييد والترحيب . وإن كان كثيرون سيصابون فى أول الأمر باختلال المزاج ، وبعد بضعة أيام يحمدون الله على هذه النعمة . انهم ينتظرون القرار . ولكنهم لا يستطيعون اتخاذه بأنفسهم .

وهكذا اللحم . نشكو من غلائه وارتفاع أسعاره يوما بعد يوم . ومع ذلك لا نكف عن شرائه . ولما صدر القرار رحبنا به ، وتمنينا لو طال الشهر إلى شهرين أو ثلاثة . فسوف يخف العبء على الجيب وعلى المعدة أيضا .

أما عن البيض فقد استوقفنى مسألة واحدة . هى كيف يتسنى لإسرائيل أن تنتج وتبيع البيضة بواحد وثلاثين مليما . بينما نعجز نحن عن ذلك ؟ هل لديها الأرض اللازمة لمزارع الدواجن أكثر مما لدينا ؟ قطعا لا ! وهل تكون اجور العاملين فى إسرائيل أقل من أجور العاملين فى مصر ؟ قطعا لا ! وهل تكون هذه المزارع ومحطات التفريخ فى حاجة الى تكنولوجيا متقدمة تملكها اسرائيل ولا نستطيع نحن أن نملكها ؟ قطعا لا . اذن فما هو السبب فى رخص أسعار البيض فى اسرائيل رغم التضخم البالغ فيها ، بينما ترتفع اسعار البيض فى مصر ، وكل الظروف موالية ؟ سؤال استوقفنى ، ولعل أحدا من المختصين بين علينا بالبيان .

هذا وأود أن أشير الى مسألة فرعية ، هى ذبح العجول الصغيرة الرضيعة دون انتظار لتسمينها . وقد سألت أحد العارفين بتربية العجول فقال إن العجل الصغير اذا ترك يرضع لبن أمه كلف صاحبه جنيهين ونصف جنيه يوميا ، هى ثمن اللبن الذى يرضعه ، بعد أن وصل سعر الكيلو من اللبن الحليب أربعين قرشا . فمن ذا الذى يضحى بجنيهين ونصف جنيه كل يوم ، ليدع صغار العجول ترضع وتكبر وتسمن ؟

ومن هنا أدعو الى النظر لمسألة اللبن بعين الاهتمام ، رغم كثرة الاعلانات عن أصناف اللبن المجفف التى تغمر الأسواق الآن . هذا مع العلم بأن كل مشكلات الغذاء متشابكة مترابطة ، تستدعى أبحاثا مستفيضة ، علمية واقتصادية واجتماعية ، على أن يكون الأمر بيد صاحب الأمر فى المشكلة كلها ، وهو المستهلك . مهما فعل الجزارون بنا ، لأننا نحن المستهلكين لابد أن نكون أقوى منهم وأقدر ، سواء كان ذلك بقرار من الدولة ، أو بقرار من داخل أنفسنا .

ماهو السر؟

كثيرون تساءلوا ، ولا يزالون يتساءلون اليوم وغدا وبعد غد ، كيف يتسنى لحكومة اسرائيل أن تواجه العالم كله شرقا وغربا ، بكل هذا الأصرار والصلف والعناد ، ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتصريحات الأوربيين والأمريكيين والأفارقة والآسيويين ، وكل من له عقل يفكر به وضمير يحاسبه . من أين تواتيها القوة على احتمال هذا الضغط العالمى المتزايد

كارل ماركس

يوما بعد يوم ؟ .

هل هى القوة العسكرية ؟ لا أريد أن أجيب عن هذا السؤال ، لأننا استبعدنا الحديث عنه . هل هى أمريكا وأصوات اليهود الأمريكيين فى انتخابات الرئاسة ؟ لا أظن ذلك ، فبوادر الخلاف بينهما واضحة ، وتصريحات الادارة الأمريكية وموقفها الأخير فى مجلس الأمن دليل على ذلك . ثم انه ليس من المهم أن يكون لأصوات الناخبين اليهود القول الفصل فى المعركة الانتخابية . وقد حدث من قبل ذلك مرات أن تجمعوا حول مرشح لم يكتب له الفوز . ثم لنفترض أن هذه الغطرسة الاسرائيلية يقف وراءها ويشجعها كبار رجال الدولة فى الولايات المتحدة ، أفلا نظل نتساءل ماهو السر فى كل هذه الحظوة التى تتمتع بها اسرائيل بين أحضان أمريكا ؟ أهى سيطرة اليهود على أسواق المال والمصارف ووسائل الاعلام والجامعات ؟ ألم يكن العاملان الأخيران كفيلين بأن يعرف رجل الشارع الأمريكى مصلحته ، ويوازن بين اسرائيل التى تأخذ منه كل شئ ، وبين العرب والمسلمين الذين يعطونه كثيرا ، ان لم يكن كل شئ ؟

دولة واحدة أخرى فى العالم تواجه العزلة مثل اسرائيل ، ومازالت تعيش ، تلك هى جنوب أفريقيا . ولكنها تعيش لأنها بعيدة عن مواطن الصراع العالمى وقلب الدنيا ، ومركز المواصلات البرية والجوية والبحرية ، وآبار النفط الذى يعتمد عليه العالم كله . وليست جنوب أفريقيا محاطة بمثل ماتحاط به اسرائيل ، وفى يد الحكومة العنصرية هناك موارد اقتصادية ضخمة ، وصلات تم من وراء ستار بالعالم الأبيض الذى يمدها بما تحتاج اليه سرا وعلانية .

أما اسرائيل فليس لديها من الموارد مايوفيها على قدميها ، وهى مدينة بالبلايين ، والتضخم فيها أصبحت نسبته أعلى نسبة فى العالم ، والمهاجرون اليها يعودون أدراجهم فوجا بعد فوج ، ومع ذلك تواجه الدنيا بالاستمرار فى احتلال أرض أعدتها بالقوة ، وتبنى المستوطنات ، وتصدر قانونا بأن تكون القدس عاصمتها الأبدية .

ألا يمكن أن نوجه هذا السؤال الى أنفسنا . أقصد نحن العرب والمسلمين جميعا ؟ ألا يمكن أن يكون العيب فينا ، وأن يكون هذا العيب هو مصدر الصلف والاصرار والتحدى من الجانب

معمر القذافى

سعد مأمون

جوزيف ستالين

الآخر ؟ ألا يكون الفرق بيننا وبينهم هو أن لديهم حلما يريدون تحقيقه ، ولديهم الإرادة الحازمة العاملة على ذلك . أما نحن فلدينا أحلام يقظة نعيشها ولدينا مشاغل خاصة تلهينا حتى عن تفسير الأحلام المشوشة التى تخيم على عقولنا بالنهار والليل ؟

أم أن فى الأمر سرا لاندركه الأفهام ؟ لقد قالت مصر كلمتها وأوضحت موقفها وأدت واجبها . فقدفها اخوتها بالطوب والحجارة . وماتقدم أحد منهم بحل يرتجى أو جواب لسؤال . وما واجهوا العناد الاسرائيلى الا بمزيد من الفرقة والانقسام فيما بينهم . وتفرقت كلمتهم على وجه لم يعرفه التاريخ يوما من الأيام .

وإلى متى ؟ لا أحد يتفضل بالجواب !

الأزمة البولندية

انتهت الأزمة البولندية أوكادت بتنازلات من العمال المضربين ، وتنازلات أكبر من جانب الحكومة . وكنت فى الأسبوع الماضى قد أشرت الى هذا الموضوع ولكن فى جملة واحدة . فقد كنت أتوقع منذ البداية أن الأزمة لن تستمر طويلا ، لأنها أكبر وأخطر من أن تتفاقم ، فهى نصيب النظام الاشتراكى فى الكتلة الشرقية كلها فى الصميم .

وماحدث فى بولندا سبق أن حدث مثيل له فى غيرها من دول المعسكر الشرقى . وانتهت الأحداث بالضرب العنيف والدم الكثير الذى أريق فى الشوارع . واذا كانت الأزمة فى ظاهرها قد انتهت ، فإن جذورها تضرب فى الأرض الشرقية من بحر البلطيق الى البحر الأسود ، ومن سيبريا الى حدود العالم الغربى . فالمسألة ليست مسألة أجور وارتفاع أسعار فحسب ، ولكنها حقوق الانسان ، وحرية الفرد ، وبطلان النظرية الماركسية التى بشرت بمجتمع الطبقة الواحدة ، الطبقة العاملة ، أو البروليتاريا . فليس الحاكمون فى هذا المعسكر ممن يمثلون الطبقة العاملة المطحونة ، بل انهم انفصلوا عنها ، وأصبحت السلطة فى يد مجموعات يوازن بعضها بعضا ، من محترفى السياسة وزعماء الحزب ، وجنرالات الجيش ، وضباط المخابرات والبوليس السرى ، ثم وراءهم أو معهم طبقة المديرين الكبار من مهندسين وخبراء اقتصاد وعلماء فضاء وذرة . وهؤلاء جميعا لم يعودوا من الطبقة الكادحة . فلهم امتيازاتهم وسياراتهم الفارهة ومصايفهم ومشاتيهم ، وحقوقهم فى المساكن الملائمة وشراء السلع الاستهلاكية المستوردة . الى غير ذلك من ضروب المتعة والترف ، بينما يحرجر العمال قيود الفاقة والحرية المفقودة .

واذا كانت الماركسية قد تجاهلت غرائز الفرد وطموحاته وتعلقه بحرياته الأساسية ، ونظرت الى الناحية الاقتصادية المادية على أنها الأساس ، فقد خابت تنبؤاتها حتى فى هذه الزاوية . وما من أحد ينكر أن بعض الدول الرأسمالية الغربية ، تدفع للعاطلين من عمالها أكثر مما تدفعه الدول الاشتراكية للعاملين الذين يشتغلون سبع ساعات أو ثمانى كل يوم . والعاملون فى الدول الرأسمالية يستطيعون أن يعبروا عن سخطهم أو غضبهم ، بالكلام أو بغيره ، بينما يلاقى المعارضون فى المعسكر الاشتراكى أقسى أنواع التنكيل . وقد مرت على التجربة الاشتراكية حتى الآن ثلاث وستون سنة . ولم تتحقق نبوءات ماركس وانجلز ولينين وستالين ، بل تطورت الأمور فى عكس الاتجاه المفترض . فبدلا من أن يتحول المجتمع الاشتراكى الى مجتمع شيوعى يجد فيه كل امرئ ماهو فى حاجة اليه ، بدأ يتحول – حتى داخل الاتحاد السوفيتى والصين – ليقترب من النظام الرأسمالى ، لايبتعد عنه . ولم يكن ماركس من الغباء بحيث يقول ان بيانه الذى أصدره هو دستور النظام المستقبل الأبدى ، بل قال انه قابل للتطور والتغيير ، لأنه لامبدية مع تطور البشر والتاريخ . ولكن الذى أخطأ فيه هو مسار هذا التطور ، الذى يتقدم الى الخلف ، لا الى الأمام .

وسوف تحدث أزمات أخرى كالأزمة البولندية ، فى أى مكان من الكتلة الشرقية ، طال الزمان أو قصر . ولن تكون ذات أثر الا اذا أرعدت السماء فى الاتحاد السوفيتى نفسه . وليس هذا بمحال ، بل إنه لشئ متوقع بعد ما تناقله الأنباء عن كثرة المعارضين أو من يسمونهم بالمنشقين ، والهاربين من ابطال الفن والرياضة الى عالم الغرب ، والتذمر المكبوت فى صدور الملايين ، الذين اذا صمتوا أعواما أو أجيالا ، فلابد لهذا الصمت من يوم يعلو فيه الى درجة الصراخ ، وتضطرب الأمور ويتمخض النظام الماركسى عن شئ جديد ، ليس هو الذى توقعه ماركس وانجلز فى بيانهما .

مواعيد العمل الجديدة

اذا كانت مشكلة المرور هى السبب الأول والأخير فى التفكير الذى يجرى الآن لتغيير مواعيد العمل ، فان ذلك يحتاج الى وقفة ، ووقفة طويلة .

صحيح أن المرور أصبح مشكلة ، ولكنا نعانى منها ونلتمس لها الحلول ، جذرية كانت أو وقتية ، ولكن ليس معنى وجود هذه المشكلة أن نعالجها بقرار تنجم عنه مشكلات أكثر تعقيدا وأوسع مجالا ، وأكبر أثرا فى حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية .

والواضح مما سمعته عن مناقشة الموضوع فى مجلس محافظة القاهرة ، ومن القليل الذى نشرته الصحف فى هذا الشأن ، أن الرأى فيه منقسم بين مؤيد ومعارض ، ويكاد الطرفان يستويان . ولهذا قيل ان المواعيد الجديدة سوف تكون على سبيل التجربة ، لأنه ليس من المستطاع التنبؤ بما ينجم عن مثل هذا القرار من آثار . لاعلى مشكلة المرور فحسب ، بل على كثير من المشكلات الأخرى .

وقد كنت أفضل بدلا من تجربة النظام الجديد ، ثم المضى فيها أو العدول عنها بعد ذلك ، أن نتريث بعض الوقت ، وأن يعكف المختصون على دراسة الموضوع من كافة جوانبه . ثم اتخاذ قرار نهائى فيه بعد توافر الدرس والتمحيص العلمى الشامل . فهناك أولا جانب اقتصادى يتأثر به أصحاب المحلات التجارية الذين يمارسون أعمالهم الى ساعة متأخرة من الليل ، وهناك مئات الألوف من الموظفات الأمهات اللاتى يذهبن لاصطحاب أولادهن من المدارس فى ساعات الظهيرة ، وهناك مئات الألوف من موظفات الحكومة اللاتى يعدن الى منازلهن فى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر . ثم تضطرهن الظروف الى النزول مرة أخرى لشراء مايحتجن اليه من سلع تباع فى المتاجر المفتوحة حتى الثامنة أو التاسعة مساء .

أما عن فترة الراحة التى حددها المشروع المقترح ، وقدرها ساعة واحدة من الزمن للعاملين فى المحال التجارية . فلست أدرى كيف تكفيهم هذه الساعة فى المحاس الراحة أو تناول الطعام أو رعاية المنزل . وصحيح أنهم فى أوروبا يعملون فترة واحدة ولكن الفروق بيننا وبينهم واسعة فى أكثر من مجال . فى طبيعة الجو وبخاصة فى صيفنا الشديد الحرارة الذى يحتاج الى ساعات من القيلولة ، وفى الأعداد الضخمة من المطاعم الصغيرة المنتشرة هناك والمسماة « بالكافتريات » ، التى يلجأ اليها العاملون فى ساعة الراحة يلتمسون وجبات خفيفة ، انتظارا للوجبة الرئيسية التى يتناولونها فى المساء بعد انتهاء العمل ، بينما نعودنا نحن على أن تكون هذه الوجبة الرئيسية فى الظهر .

وما أظن العاملين والعاملات عندنا ، لديهم من الموارد مايمكنهم لتناول الطعام خارج منازلهم كما يفعل الأوروبيون ، واذا وجدت الموارد فأين المطاعم النظيفة الرخيصة التى يمكن أن يلجأوا اليها .

والذى أود أن أركز عليه وأوجه نحوه الاهتمام ، هو أن مواعيد العمل الحالية لم نستقر عليها سنوات طويلة اعتباطا ، ولكنها وليدة ظروف مناخ واقتصاد وسلوك اجتماعى وعادات ترسبت خلال أحقاب متلاحقة من الزمن . ولهذا يكون تغييرها جديرا بالبحث الطويل والدراسة المتأنية .

وأنا واثق من أن السيد سعد مأمون ، والسيد عبد اللطيف بلطية يدركان خطورة هذا القرار المقترح ، ويوليانه ما يستحقه من دراسة مستفيضة قبل تنفيذه .

الفاتح من سبتمبر

فى يوم الاثنين الماضى ، تعطل العمل فى دواوين الحكومة والقطاع العام والبنوك ، احتفالا بعيد الفاتح من سبتمبر . وماأكثر الأعياد التى نحتفل بها رسميا ، ونحن لانكاد نعرف على وجه اليقين ، لماذا نحتفل بها ، ولماذا نتعطل فى ذكراها مصالح الناس والدولة .

والفاتح من سبتمبر ، أى اليوم الأول منه ، هو اليوم الذى قامت فيه الثورة الليبية . وكنا وقتذاك متعاطفين معها مؤيدين لها ، فرحين بها . ولكن المولود الذى أقمنا له الأفراح والزينات ، لم نحض عليه سنوات قليلة حتى ضل الطريق وانحرف .

وأصبح ابنا عاقا سيئ السلوك معنا ومع جميع شعوب الأرض قاطبة ، وفى مقدمتها شعب ليبيا نفسه .

ولست أريد الخوض فيما آلت اليه الثورة الليبية ، وفيما يفعله قائدها وزعيمها الأوحد . فاذا كانت المجاملة له ، فانه لم يعد يستحقها . واذا كانت المجاملة للشعب الليبى ، فلاشك أنه يرفضها ، لأنه يعانى من ثورته أكثر مما نتصور . وكان الأولى والأصح أن نقدم له العزاء والمواساة فى هذه المناسبة الحزينة .

الحق أننا شعب طيب !